

# الربيع الديموقراطي العربي وإمكان العمومية النقدية

عز الدين العزماني

باحث مغربي



قسم الدين وقضايا المجتمع الراهنة

تحاول هذه الورقة تقديم إطار تفسيري حول الربيع الديمقراطي يستند الى مفهوم الفضاء العمومي من جهة أولى، ثم تقترح أن الربيع الديمقراطي تعبير عن (وعي حديث للمجتمع بذاته)، وهذا التعبير تمثله إرادة عميقة لفاعل أساسي ظل غائباً ومغيباً في قيادة العملية التغييرية، يمثلها ما يعرف في الأدب السوسولوجي بـ "الجمهور".

## إرادة الجمهور وسؤال القيم الحديثة:

تمر المنطقة العربية بلحظة فارقة في تاريخها الحديث، لحظة ستحدد طبيعة المرحلة القادمة. هذه اللحظة تحمل "بنية تناقضية" تتطلب الانطلاق من أرضية مشتركة لحسم التناقض في اتجاه تحديث مجتمعات المنطقة وتمدينها. تؤشر البنية التناقضية على أن الوضع مفتوح على سيناريوهات معقدة يتداخل فيها الداخلي بالخارجي، وتظهر فيها الأولوية للمجتمعي بديلاً عن الطائفي، وللمدني بديلاً عن الإيديولوجي، وللعمومية النقدية بديلاً عن الطقوسية. السؤال هنا: هل يحيل الربيع الديمقراطي على ظاهرة حديثة في مجتمعات يوطرها التقليد Tradition؟

### لحظة تأملية....

يمكن أن نفكر في ثلاث لحظات أساسية متفاعلة ومتشابكة مر بها الحراك العربي:

1. **اللحظة الانتقالية التأسيسية:** التي تجد تعينها في الميادين (ميدان التحرير، شارع بورقيبة..)، ويمثلها الجمهور المنتفض في الشارع كفاعل أساسي، وهذه لحظة تأسيسية حاملة للمعاني المرجعية للحراك وأبعاده الفلسفية الكبرى.

2. **اللحظة السياسية الانتقالية:** لما بعد إسقاط الأنظمة الاستبدادية، (وهنا لا يتعلق الأمر بمرحلة "ما بعد الربيع"، بالنظر إلى السيرورات والديناميات التي ما تزال تتفاعل في المجال السياسي العربي)، وهي اللحظة التي تميزت بالعديد من الديناميات:

- التواصلية (الحوارات الوطنية)
- القانونية (إعداد الدساتير، والتشريعات الانتقالية...)
- السياسية (الانتخابات النيابية والرئاسية، وأيضاً الدخول في توافقات سياسية لتشكيل الحكومات السياسية).

وهذه اللحظة الانتقالية تميزت أساساً بالصعود البارز للإسلاميين، وانتصاراتهم في معظم الانتخابات التي أجريت في دول الحراك العربي.

3. **اللحظة الجيوسياسية:** بمعنى أن القوى الإقليمية والدولية صار لها حضور أساسي في توجيه الأحداث، وذلك لثلاث أسباب أساسية:

- **السبب الأول:** يكمن في اختيار الجماهير للإسلاميين لتسيير شؤونهم في الانتخابات الأولى التي أجريت في أجواء الحراك، وأيضاً في تصدر بعض التيارات الراديكالية لمواجهة الأحداث، خاصة في ليبيا وسوريا واليمن، مما دفع التيارات المحافظة في الغرب إلى التشكيك في الحمولة الديمقراطية للجماهير الثورية، والدفع في اتجاه إعادة ترتيب موازين القوى في هذه البلدان، عن طريق دعم ما يسمى في الأدبيات الغربية بـ "التيار الليبرالي".

- **السبب الثاني:** ويتعلق بعدم أو "تأخر" امتداد الربيع إلى أنظمة عسكرية وملكية أخرى (الجزائر، الخليج...) ما يزال الحكم فيها وراثياً أو عائلياً أو عسكرياً، حيث نجد دعماً غريباً لهذه الأنظمة انطلاقاً من مقولات تتعلق بالأمن القومي والاستقرار.

- **السبب الثالث:** ويتصل بدخول الثورة السورية في منعطف دموي خطير، كانت لمصالح القوى الدولية المتعارضة دوراً كبيراً في تعقيده وتمديده<sup>1</sup>. وقد أسهمت هذه الأسباب الثلاث في تعميق "حالة التشاؤم"<sup>2</sup> التي سرعان ما تحولت إلى خطاب أيديولوجي تشككي محافظ.

هذه اللحظات الثلاث ليست منفصلة بعضها عن بعض، بل تصلها تلك اللحظة التأسيسية النابعة عن إرادة التغيير التي عبرت عنها الجماهير العربية في مختلف البلدان العربية، وليس بعيداً أن تكون نتائج السيرورات والمتغيرات التي تعتمل في رحم الربيع الديمقراطي سبباً مولداً لانفصال اللحظات الثلاث بعضها عن بعض، وفي أسوأ الحالات انفصال اللحظتين الثانية والثالثة عن اللحظة التأسيسية<sup>3</sup>. وعليه، يتصور الباحث أن الانتقال

<sup>1</sup> تقترح بعض الرؤى أن العالم العربي يعاني من غياب قيادة استراتيجية قادرة على تمثل اللحظة التأسيسية الحديثة للربيع الديمقراطي، وفي ظل حالة الغياب يعاد صياغة أطروحة التقسيم على مقياس أكثر خطورة من تقسيم سايكس بيكو، إذ كان التقسيم في المرة الأولى تقسيم جغرافياً وتوزيع أوطان، ولكن التقسيم في هذه المرة تقسيم موارد ومواقع (النفط الليبي، قواعد عسكرية جديدة..). تنصدر القوى الغربية اجندات لإعادة توجيه المسار وفق مصالحها من خلال تحريك بلدان عربية (السعودية، قطر...)، تعتمد هذه الاجندة على تحريك الصراع الطائفي السني الشيعي من خلال تكريس مفهوم الفتنة الطائفية في سوريا تحديداً. ويظهر أيضاً النفوذ التركي والایراني بشكل قوي خاصة في الملف السوري. محمد حسنين هيكل، الأهرام المصرية (سبتمبر 2011).

<sup>2</sup> Berman, Sheri. "The Promise of the Arab Spring: In Political Development, No Gain Without Pain", Foreign Affairs, January/February 2013.

<sup>3</sup> من بعض افتراضات هذا الانفصال تنازع الشرعيتين الثورية والشرعية الانتخابية الذي يساهم في تقليص مساحات الوجدان السياسي للجمهور، ويدفع به حالة من الانتظار التي ستكون سبباً في فتح المجال للحظة الجيوسياسية في إعادة توجيه الربيع الديمقراطي وفق مصالح الغرب. ولذلك فكلما ابتعدت

من المصطلح إلى المفهوم، في محاولة لتجريد إرادة القوى التي أنتجت الحراك العربي ليس بالعملية الميكانيكية، وربما اقتضى الأمر جرعة من التأمل تستحضر أسئلة المصير وأسئلة القيم التي تولدت في خضم البنية التأسيسية للحراك العربي. كيف يمكن أن نصف حالة شخص يحرق جسمه، فيكون ذلك شرارة توقظ فعلاً انتفاضياً؟ كيف يحصل هذا الانتقال من "جسد الفرد المحترقة فيزيائياً" إلى "جسد جماهيري مشتعل ثورياً وقيماً"! ألا يتعلق الأمر أساساً بإرادة كامنة في وعي الجماهير كانت تنتظر دفعة محترقة، ومشتعلة، وقوية لتجاوز حالة الخوف المكبل لإرادة الحياة! تلك هي إذن، "الظاهرة البوعزيزية" في أعرق تجلياتها، التي تجمع بين دراماتيكية الحدث ودرجسية التثوير ورومانسية الإرادة، إرادة الحياة والتحرر معاً.<sup>4</sup> "الظاهرة البوعزيزية" إذن، بما تحمله من معاني تتصل بأسئلة المصير والمستقبل، منطلق لا محيد عنه لفهم الماحدث واستيعاب مجرياته البعيدة. "الظاهرة البوعزيزية"، هي ظاهرة إنسانية، ووجودية، وكونية،<sup>5</sup> متطلعة إلى الحياة، وحاملة لحلم النهوض ولقيم الكرامة والعزة والعدالة الاجتماعية. سيشكل مطلب التحرر السياسي من أنظمة الاستبداد، الذي يمثله شعار "الشعب يريد إسقاط النظام"، إجابة عملية حاملة لإرادة الحياة (الكرامة والعدالة الاجتماعية)، وإرادة التحرر (الإصلاح الديمقراطي). وهنا تجتمع حلقتي الإرادة الجماعية في بعديها الاجتماعي والسياسي، المستلزمة للإرادة الذاتية (البوعزيزية) في بعديها الكوني والإنساني. في مصر، كان الطابع الرومانسي لإرادة الجماهير واضحاً ودالاً في ميدان التحرير، تجلى ذلك واضحاً في الأغنية التي تغناها المصريون في ميدان التحرير، الأغنية الوطنية "أنا بحبك يا بلادي"، مما يجعل الفعل الثوري يتسم بحمولة وجدانية عميقة، ليست هي نفسها الحمولات القومية التقليدية.<sup>6</sup> هذه اليوتوبيا التي تقدم منظوراً جديداً للفعل الثوري تتسم أيضاً باتفاق مرجعي عابر للدين والإثنية والطائفة والجنس والسن (...). كما أن خروج الناس بشكل راتب خلال أيام الفعل الاحتجاجي المكثف، اتسم بنوع من التضحية المفارقة لإرادة التعجيل التنظيمي rationalisation الذي يسم تاريخ الفعل الثوري في التجارب المختلفة. مما يعكس طلباً اجتماعياً وقيماً عميقاً

سيرورات الربيع عن اللحظة التأسيسية (سبب نزول الحراك العربي) كلما كان الالتقاء بين اللحظة الانتقالية (التي يهيمن عليها الإسلاميون) وبين اللحظة الجيوسياسية (التي يعكسها الحضور الغربي) ممكناً بوعي الفاعل الإسلامي أو بدونه.

<sup>4</sup> نتذكر البيت الشعري للشاعر العربي أبو القاسم الشابي الذي رفع شعاراً للثورة التونسية: "إذا الشعب يوماً إرادة الحياة... فلا بد أن يستجيب القدر". حيث تجتمع الإرادة الإنسانية بالمشيئة الإلهية، حيث السببية مفهوم وسيط بينهما. وهنا نجد كلاماً عميقاً للمفكر أبو القاسم الحاج حمد من خلال تأكيدته بأن: "التواصل الإلهي مع الكون إلى مستويات ثلاثة - مرتبة ترتيباً تنازلياً - هي: الأمر الإلهي، والإرادة الإلهية، والشيئة الإلهية: فالأمر مرتبط بالإجبار، فيما الإرادة مرتبطة بالحب، أما المشيئة فمرتبطة بالسببية". أنظر: "إبستمولوجيا المعرفة الكونية"، (ص 293)

<sup>5</sup> يقترح أبو يعرب المرزوقي أن الحالة الثورية العربية هي تعبير عن "ثورة تحرر داخلي وخارجي بل ثورة تحرر كوني على الاستعباد الداخلي والخارج". أنظر كتابه: المرزوقي، أبو يعرب. "استئناف العرب لتاريخهم الكوني.. ثورة الحرية والكرامة.. تونس نموذجاً"، مركز الجزيرة للدراسات/الدار العربية للعلوم، يناير 2012.

<sup>6</sup> تعتبر الدكتورة هبة عزب رؤوف أن أن الشارع السياسي المنتفض في الحالة المصرية، هو نتاج لتنازع فضاءات عمومية متنوعة، انتهت إلى تغلب إرادة الفضاء العمومي غير الرسمي Informal public على إرادة التعجيل والسيطرة الكامنة في الفضاء العمومي الرسمي.

Ezzat, Heba Raouf, "Self, Space and Time: From the public sphere to the political street" (Arabic). Politics Journal 187 (2012): 31-34.

للتغيير تجسده فلسفياً مقولة الفيلسوف اليوناني كاستورياديس<sup>7</sup> «Cornelius Castoriadis»: "التاريخ إبداع لا حدود له". بالنسبة لكاستورياديس، فإنه لا يمكن فهم إرادة التغيير الجذري انطلاقاً من تعيين عوامل ومحددات أحادية التفسير، وكنتيجة لأحداث محددة في الزمن، بل إن هذه الإرادة العميقة للتغيير الجذري تتبع مما يسميه "المتخيل الاجتماعي بدون تحديات (Change emerges through the social imaginary without determinations)"، ولكن هذا المتخيل الاجتماعي لكي يتم الاعتراف به، لا بد أن يحدث فعلاً ثورياً في الواقع. يتعلق الأمر في حالتنا العربية بلحظة تاريخية فارقة، نابعة عن متخيل اجتماعي "راديكالي" مولد للفعل الثوري ليس باعتباره ناتجاً للصراع الطبقي، ولكن كلحظة وعي المجتمع لذاته<sup>8</sup>. إن مفهوم "الربيع الديمقراطي" الذي نستعمله للدلالة على الحراك العربي، يعبر عن تحيز معرفي للأهداف والقيم النبيلة التي يحملها الربيع في تحقيق قيم العدل والكرامة والحرية، وأيضاً للوقوف على مسافة مع الحمولة الأيديولوجية التي يعملها تعبير "الربيع العربي". ذلك أن الحراك العربي لم يتخذ في بنيته التأسيسية تمركزاً إثنياً أو دينياً أو قومياً أو عرقياً محدداً، بل إن التوصيف السوسيولوجي للميادين يقدم حالة من التنوع والاختلافية التي وسمت العلاقات بين جميع القوى الشبابية والدينية والسياسية والفكرية والنسائية التي ساهمت في تخليق الوعي الحديث وتوليد نماذجه الفعلية. **الجمهور ولحظة "وعي حديث للمجتمع بذاته"** الربيع الديمقراطي كما تعكسه اللحظة التأسيسية الكاشفة لحمولته القيمية والسياسية له تعين عمومي "غير رسمي" تمثله الساحات والميادين التي تفاعلت فيها إرادة الذوات Subjects، وانتهت إلى بروز فاعل جديد هو الجمهور الحامل لـ "وعي حديث بذاته". يعبر هذا الجمهور<sup>9</sup> عن بروز لذاتية جديدة مستقلة عن ذاتية الدولة وذاتية السوق وذاتية النخبة، وهذه الذاتية الفاعلة لا يمكن فهمها انطلاقاً من نظرية التحديث التي تحلل التغيير انطلاقاً من مفاهيم الترشيد والضبط والمصلحة والتوافق؛ أي التعامل مع المواطن كفاعل سياسي معقلن. ثمة أبعاد جديدة تحملها هذه الانتفاضات تتصل بما هو رمزي وقيمي ووجداني وروحي، أي بما هو غير معقلن، أو غير خاضع للضبط. لقد ساهمت

<sup>7</sup> The Imaginary Institution of Society (trans.: Kathleen Blamey), MIT Press, Cambridge 1998 [1987]. 432 pp. ISBN 0-262-53155-0. (pb.)

ترجم هذا العمل إلى اللغة العربية سنة 2003 أنظر: كورنيليوس كاستورياديس، تأسيس المجتمع تخيلياً، ترجمة ماهر الشريف، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق سوريا، 2003). (تابع في هذا العمل نجد كاستورياديس يرفض انقسام المجتمع إلى عدة طبقات متصارعة ويرى أن الصراع يحدث بين فئة تسابير الساند وترضى بالمألوف وتقبل حياة التبعية والخضوع وفئة ساخطة ومتطلعة تؤمن بـ"الثورة كلحظة وعي مجتمع لذاته ونجاح في تأسيس ذاته بذاته" لاسيما وأن مسرح التاريخ هو نهر متدفق من أشكال الخلق، وأن المجتمع يؤسس ذاته بذاته، وأن الحياة هي ديناميكية العنصر الاجتماعي- التاريخي.

<sup>8</sup> يحيل هذا المعنى على الصعوبات التي واجهت الدارسين في اقتراح تحديد مفاهيمي لـ "المحدث". ثمة اعتراضات أساسية حول استعمال مفهوم الثورة في توصيف الحراك العربي، كما اتجهت بعض الكتابات إلى اقتراح مفهوم الانتفاضة. وسنجد عبارة "الربيع العربي" هي الأكثر تداولاً في توصيف المحدث، بالنظر إلى كثرة الكتابات الغربية التي انتجت في الموضوع مستعملة هذا التوصيف، وايضاً بالنظر إلى دور الصحافة العربية في نشر هذا الاستعمال الدلالي وتعميمه. وسنجد بعض الباحثين الجادين الذين لا يطمنون إلى هذه التوصيفات يستعملون عبارة "الحراك العربي" التي تتميز بنوع من الحيادية التي تسعى لمراقبة التحولات الجارية قبل الحكم عليها وتقديم توصيف محدد لها.

<sup>9</sup> نجد في الأطروحة المرجعية لعاصف بيات التي نشرت سنة 2009 تقديراً عميقاً واستشرافاً نوعياً للدور الممكن للجمهور العربي وللإنسان العادي في تحقيق التغيير في المنطقة العربية. أنظر، Bayat, Asef: "Life as Politics: How Ordinary People Change the Middle East", Stanford University Press (October 21, 2009)

العمومية غير الرسمية في خلخلة النسق السلطوي القائم، وتجاوز منطق الخوف والسيطرة الذي يقوم عليه. ما يعزز هذا الموقف هو فكرة "الفوضى" التي استعملت من قبل المستبدين لوصف الانتفاضات، والتي تحيل على عدم استيعاب الطابع العفوي الخارج عن التوقع الذي طبع الحراك الشعبي، ولذلك كان عنف الدولة محاولة لتكريس النسقية واستعادة الانضباط واحكام السيطرة المنفلتة. من هذا المنظور فإن ممر الذاتية Subjectivity الذي تشكل ضمن قنوات الانفتاح الكوني كان أساسياً في تشكيل الوعي الجماعي (منطق المليونية) وجعل الفرد في قلب القوة الجديدة (الجمهور)، بما هو قوة رمزية، عفوية. ما شهدناه اذن ليس نهاية للسلطوية بل نهاية للمنطق الذي أنتج السلطوية، أي غياب الجمهور عن الفضاء العمومي، وفي نفس الوقت ولادة لقوة رمزية قادرة على تفكيك النسقية القائمة. إذن، في ظل هذا التحول النوعي حصل خروج رمزي عن السلطوية بتجاوز الخوف الذي استحكم في الكيان الاجتماعي والسياسي وأقعه عن التأثير في المسار التاريخي للأمة حتى في البلدان العربية التي لم تشهد مثل هذه الثورات، لكن في نفس الوقت فإن مسار تفكيك السلطوية المتجذرة في البنيان الاجتماعي والمؤسسي وبناء نظم سياسية ديموقراطية حقيقية عمل مستمر يحتاج إلى عقد أو عقدين من الزمن. إذن، فأهم ملامح التحول في سياق الحراك العربي تتمثل في تشكل **عمومية نقدية جديدة** new publicity تعكس ارادة الجمهور public العمومية، تنطلق أساساً من الذاتية المستقلة. وهذا الجمهور يتشكل من شباب كوزمبوليتي<sup>10</sup> اكتسب وعياً حديثاً (تقنياً وقيماً) من خلال ما أتاحتها تيارات العولمة المجاوزة لمنطق السيادة المغلق<sup>11</sup>، ويتشكل أيضاً من طبقات متوسطة (موظفون، ومحامون...) متعلمة لها قدرة على النفاذ لمصادر المعلومات الجديدة والتعامل معها. وقد كان واضحاً أن العمال سيندرجون فيما بعد في سيرورة تخلق الوعي الانتفاضي بشكل سلس. فهو وعي مجاوز للأطر الايديولوجية التقليدية وللعمومية الرسمية (السياسية والحزبية والنخبوية)، ولذلك فهو وعي للمجتمع بذاته. وهو في نفس الوقت وعي حديث، بالنظر إلى الفاعلين المنشئين للحدث من جهة أولى، وبالنظر الى شعاراته التي تلتقي مع قيم انسانية كونية منفتح على العالم من جهة ثانية، وبالنظر إلى وضوح المطلب الديموقراطي في مطالب الحراك من جهة ثالثة<sup>12</sup>. من هنا يقترح

<sup>10</sup> تقترح فاطمة المرنيسي بأن التفاوض الذي يقترح شباب الميادين، يتجاوز التفاوض التقليدي بين الحكام والناس، أو بين الحكام والاحزاب السياسية، بل هو حوار كوني، بين أجيال مختلفة، بين الأبناء والآباء. (On assiste à une renégociation globale. Ce n'est pas uniquement entre le roi et le peuple, ni entre le roi et les partis politiques. Il y a un grand débat entre les différentes générations, entre les parents et les enfants. Tout le monde se remet en question. Pour la première fois, les parents se remettent en question. " Fatema Mernissi: Quand la sociologie C'est pour ça que ça dérange tout le monde...").  
appuie le Printemps arabe, 14 mars 2013

<https://www.mamfakinch.com/fatema-mernissi-quand-la-sociologie-appuie-le-printemps-arabe/>

<sup>11</sup> تحيل أهم الدراسات والتقارير التي أنتجت منذ بداية سنة 2000 على ثورات ديموغرافية يقع الشباب في قمة هرمها، مع نسب كبيرة من البطالة.

<sup>12</sup> من خلال متابعة البيانات التي صدرت على صفحات الفيسبوك وشعارات ميادين التحرير، نجد أن مطلب الشريعة أو معاداة الغرب لم يكن مطلباً أساسياً للجماهير. قارن مع الشعارات التي غطت الميادين السياسية في الجزائر عقب إعلان فوز الإسلاميين بالانتخابات في بداية التسعينات من القرن المنصرم.

رضوان السيد<sup>13</sup> أن نفهم الحراك العربي باعتباره في نفس الآن، "تصالح مع الذات" و"تصالح مع العالم". وفي نفس الاتجاه، تقترح فاطمة المرنيسي<sup>14</sup> أن ما أسمته "ثورة الشباب" لسنة 2011، تكشف في نهاية المطاف "تحولاً راديكالياً في الثقافة، في الذهنيات، وفي المعايير، سواء تعلق الأمر بمجالات الجندر، السياسة أو الاقتصاد".

## الفضاء العمومي كنموذج تفسيري

باستحضار فلسفة التاريخ، فإن الأحداث الجذرية تستدعي تغييراً في البراديكيم، فتغير البراديكيم الناتج عن تغيرات عميقة في الشروط التاريخية لا ينسحب فقط على الثورات العلمية بل يشمل أيضاً الثورات الاجتماعية والسياسية. ولذلك إذا كانت التحولات السياسية سريعة، فإن الصعوبة تكون مقدرة في مواكبة التحولات على صعيد التنظيم. ولذلك سيحتاج الأمر في البدايات (على الأقل) إعادة للنظر في بعض المفاهيم الأساسية في النظرية الاجتماعية، واقتراح مدلولات تنسجم مع التحولات الجديدة. يحمل الفضاء العمومي على دلالة جدلية مركبة، وفي معناه الإجمالي يصف اصطلاح الفضاء العمومي (بطريقة استعارية) ذلك الفضاء الاجتماعي الذي يعرف تبادلات عقلانية ونقدية بين الذوات (الفردية والجماعية) التي تسعى إلى بلوغ حالة التوافق حول القضايا التي تتصل بالممارسة الديمقراطية. ورغم أن الفضاء العمومي يعكس تجربة تاريخية "أوربية" أساساً، في أبعادها الفلسفية والسياسية والاقتصادية، التي تتعلق بممارسة سياسية ديموقراطية، فإن المصطلح يحتاج إلى توسيع المجال الحضاري لتشغيل المفهوم، أخذاً بعين الاعتبار التحولات الكونية التي خضع لها المفهوم من جهة أولى<sup>15</sup>، كما يحتاج إلى استيعاب "التطلعات الوطنية" للتحقق الثقافي والسياسي من جهة ثانية. تفتح نانسي فرايزر هذا الأفق التجاوزي من خلال ما تسميه "إعادة التفكير في الفضاء العمومي Rethinking the public sphere"، ضمن المجتمعات "غير الغربية". يمكننا أن نفكر (على الأقل) في ثلاث مستويات لتشغيل مفهوم الفضاء العمومي:

<sup>13</sup> أنظر مداخلة رضوان السيد في ندوة: "الربيع العربي: تغيير اجتماعي أو انتفاضة على السلطة"، مركز عصام فارس للشؤون اللبنانية، 29 فبراير 2012.

<sup>14</sup> "la révolution des jeunes de 2011 montre enfin cette transformation radicale de la culture, des mentalités et des repères, qu'ils soient sexuels, politiques ou économiques", voir son interview sur le site "mamfakinch":

<https://www.mamfakinch.com/fatema-mernissi-quand-la-sociologie-appuie-le-printemps-arabe/>

<sup>15</sup> في "عصر العولمة"، سيشهد الفضاء العمومي تحولات أساسية في المدى، في اللاعبين، في الخطاب، وفي الشكل أيضاً. إذ بالنظر إلى الإلغاء التدريجي للحواسز الجغرافية، والسياسية، والثقافية التي تميز التواصل السياسي الوطني الحديث، سنجد أن اصطلاح الفضاء العمومي سيكتسب أبعاداً كونية Global وأيضاً "عبر- وطنية Trans-national" جديدة. سنجد أن تكنولوجيا التواصل الجديدة، التي تتمثل في الإرسال التلفزيوني عبر الأقمار الإصطناعية، وأيضاً في الشبكة العنكبوتية (World Wide Web (WWW)، تسمح بنقاشات كونية للقضايا والمشكلات التي تواجه المجتمعات في حقبة ما بعد الحرب الباردة. في سياق هذا التطور الهيكلي، فإن الفضاء العمومي، سيتحول تدريجياً إلى "فضاء عبر-وطني" يحتضن لاعبين متعددي الانتماء الوطني Multinational، ويتناول قضايا ذات طابع كوني، ويرسم قنوات متنوعة للتواصل، وأيضاً يستهدف جمهوراً "ذا انتشار عالمي"، وفي نفس الوقت سيتم اقتراح مفهوم الفضاء العمومي الافتراضي Virtual public sphere.

المستوى الذي يتعلق بالفضاء العمومي باعتباره تعبيراً عن الفعل التواصلي بين الذات العاقلة

الفضاء العمومي باعتباره تحققاً للمصلحة العمومية المجاوزة للمصالح الشخصية

المستوى الذي يتعلق بالفضاء العمومي باعتباره تعبيراً عن الاستعمال العمومي للبرهنة.

أولاً: من منظور الفضاء العمومي باعتباره تعبيراً عن الفعل التواصلي (النقاش العمومي، المفتوح)

المجاوز للفضاء الخصوصي والمحايت له في آن، سجد العديد من الأطروحات التي تعتمده في تفسير الحراك العربي منذ اللحظات الأولى...

- بالنسبة لسيلا بن حبيب<sup>16</sup> فإن ما برز في العالم العربي هو حركة جماهيرية ديمقراطية حديثة. لأن الناس تكافح من أجل الحريات الديمقراطية، فضاء عمومي حر، والانضمام إلى العالم المعاصر بعد عقود من الأكاذيب، العزلة، والخداع.

- أما بالنسبة لمارك لينش<sup>17</sup> فإن الربيع العربي ناجم عن "تغيير بنيوي على المدى البعيد في المنطقة"، وليس مرحلة عابرة منتهية، إذ أسهمت البيئة الاتصالية الجديدة، الانترنت والفضائيات ووسائل الاتصال<sup>18</sup>، بتغيير الثقافة الشعبية، وخلق تحولات عميقة وجذرية في طبيعة المشهد السياسي العربي. وهذا التفكير بالنسبة لمارك لينش ليس جديداً، فهو من أهم الباحثين الغربيين الذين راهنوا على دور فاعل للفضاء العمومي العربي في التغيير، وخاصة رهانه على الفاعليات التواصلية الديمقراطية التي يدفع بها الاعلام الجديد<sup>19</sup> - نفس

<sup>16</sup> نشر المقال في نسخته الأصلية باللغة الانجليزية على موقع Transformations of the Public Sphere.

Benhabib, Seyla : "The Arab Spring: Religion, revolution and the public sphere", February 24th, 2011

<http://publicsphere.ssrc.org/benhabib-the-arab-spring-religion-revolution-and-the-public-square/>

<sup>17</sup> Lynch, Mark: "The Arab Uprising: The Unfinished Revolutions of the New Middle East", Publisher: PublicAffairs; First Trade Paper Edition edition (January 8th, 2013)

“الانتفاضات العربية: ثورات غير منتهية في الشرق الأوسط الجديد”

انظر أيضاً:

“Political Science and the New Arab Public Sphere,” Social Science Research Council, Transformation of the Public Sphere Initiative, June 12, 2012.

<sup>18</sup> يتعين استصحاب عمليتين أساسيتين في هذا الباب:

Ayish, Muhammad Ibrahim, "The new Arab public sphere" Frank & Timme GmbH (February 28, 2008)

JON W. ANDERSON, "New Media, New Publics:Reconfiguring the Public Sphere of Islam", SOCIAL RESEARCH, Vol. 70, No. 3 (Fall 2003).

<sup>19</sup> انظر أعماله المرجعية:





البرهنة التي تنطلق من حمولات عاطفية وجدانية تتعلق بالوطن والنهضة والتقدم، نجد أيضاً برهنة تنطلق من أساس ديني في تسويغ الثورة والتحول. وإذا استحضرننا أطروحة **يورغن هابرماس** الجديدة حول ما يسميه **"مجتمعات ما بعد العلمنة"**<sup>22</sup>، فإن أفقاً نظرياً يفتح أمامنا لاستدخال الحجة الدينية في بناء سيرورة العمومية بشرط أن يتم ترجمة هذه الحجة بطريقة قابلة للنفوذ العمومي الحديث، والتمكين لسيرورة من التعلم المتبادل بين الديانيين والعلمانيين للمشاركة في المواطنة والاختلاف الثقافي. تجد هذه الأطروحة دلالتها في النظرية الاجتماعية ضمن أعمال **سالفاتوري**<sup>23</sup> من خلاله ما طرحه حول إمكانية تطور **التقليد Tradition** ضمن ميكانيزماته الذاتية نحو الاسهام في تحديث المجتمع وتقديمه ضمن ما يسميه **الفضاء الثالث Third sphere**. وباستحضار هذه المستويات الدالة، فإن الربيع الديمقراطي الذي شهده العالم العربي بالنسبة لـ **ديل ايكلمان**، يستلزم وقفة تأملية لإعادة النظر في نظرية التحديث التي حكمت العلوم الاجتماعية في نظرتها للتحويلات في "الشرق الأوسط وشمال أفريقيا"، واقتراح براديكلمات تفسيرية جديدة من منظور الأنتروبولوجيا الاجتماعية<sup>24</sup>. وإذن، فإن الحراك العربي يحيل في لحظته التأسيسية على ظاهرة إنسانية كونية، تحمل وعياً حديثاً للمجتمع بذاته وفق إرادتي الحياة والتحرر، وتعكس انبثاقاً لعمومية حديثة تقوم على مفاهيم الترابطية، والمصلحة العمومية والتواصل العقلاني المنفتح على إمكانية التطور الذاتي للأطر والمباني التقليدية للمجتمع.

## خلاصات وأفاق...

(1) يفتح الفضاء العمومي كنموذج تفسيري لظاهرة "الربيع الديمقراطي" أفقاً هامة، للكشف عن الخاصية الانتقائية لجمهور الميادين، والتي تعبر عن وعي حديث للمجتمع بذلته، كما يسمح بفهم الحراك العربي باعتباره "ظاهرة إنسانية حديثة" ودعوة للتصالح مع الذات ومع العالم. من هذا المنظور، فإن **"الرهان الثقافي"** الكامن في الوعي العمومي الحديث للجمهور، يحمل تطلعاً إلى الانتعاق من قوانين الأسطورة الأيديولوجية ومضايق التنظيم والطائفة، وفي نفس الوقت الانتعاق من السلطوية بكل أشكالها وبمختلف أنماط اللاهوت التي تقوم عليها، أكان لاهوتاً دينياً أم علمانياً

(2) يطرح هذا الفهم اشكاليات أساسية حول جدل الدين والعلمنة في ظل المراحل الانتقالية للانتفاضات

الديموقراطية "العربية"، منها:

<sup>22</sup> HABERMAS, JÜRGEN, "Notes on Post-Secular Society", New Perspectives Quarterly, Volume 25, Issue 4, pages 17-29, Fall 2008

<sup>23</sup> Salvatore, Armando. "The Public Sphere: Liberal Modernity, Catholicism, Islam" Mps 3pl, Jun 15, 2007.

<sup>24</sup> Eickelman, Dale F. "The Arab Spring and Social Anthropology: The Last Half Century", lecture at Boston University, February 8, 2012.

هل تساير النخب الدينية هذا الوعي الحديث للجماهير وتتكيف مع إراداته الجديدة؟

هل تساهم في تحويل الأفق الاعتقالي الكامن إلى أنظمة مؤسساتية وقانونية مدنية وفاعلة.

هل ستتأثر الحركات الدينية بالديناميات التي يدفع بها الربيع الديمقراطي؟

هل الاسلاميون نتيجة منطقية موضوعية للربيع العربي؟

هل تحجب "الظاهرة الاسلامية" هذا الطابع الحديث للحراك الديمقراطي العربي؟

هل يشكل التعيين التمثيلي لهيمنة الاسلاميين على الفضاء العمومي، ردة على اللحظة التأسيسية في ظل

المتغيرات التي تدفع بها القوى الدولية والاقليمية لإعادة تأسيس اللحظة الانتفاضية وفق لمصالحا؟

هل نحن أمام مسارات متعددة؟ أين تلتقي مختلف المسارات وأين تتقاطع؟

كيف ينتقل الربيع الديمقراطي من كونه (وعياً حديثاً للمجتمع بذات)، إلى سيرورته (ولاية للمجتمع على

ذاته من خلال إرادي الكرامة والديموقراطية)؟

هل يمكن أن يكون الحراك الاجتماعي في سياق الربيع الديمقراطي مدخلاً نحو "ما بعد الإسلامية"

باعتبارها حالة متوافقة مع الوعي الحديث الكامن لدى الجماهير؟



- Marc Lynch: "Beyond the Arab Street: Iraq and the Arab Public Sphere", Politics & Society March 2003 vol. 31no. 1 55-91
- Marc Lynch. "Voices of the New Arab Public: Iraq, al-Jazeera, and Middle East Politics Today". (Columbia Univ. Pr., 2007).
- 14. Benhabib, Seyla : "The Arab Spring: Religion, revolution and the public sphere", February 24th, 2011.  
<http://publicsphere.ssrc.org/benhabib-the-arab-spring-religion-revolution-and-the-public-square/>
- 15. Benhabib, Seyla. "Political Science and the New Arab Public Sphere," Social Science Research Council, Transformation of the Public Sphere Initiative, June 12, 2012.



MominounWithoutBorders



@ Mominoun\_sm



Mominoun

الرباط - المملكة المغربية  
ص.ب : 10569  
هاتف: 00212537779954  
فاكس: 00212537778827  
info@mominoun.com  
www.mominoun.com